

الاستشراق والاستعمار الهولندي في أرخبيل الملايو (إندونيسيا نموذجاً)

د. أبو هريرة عبد الله محمود يعقوب

جامعة نيالا، ولاية جنوب دارفور (السودان).

E.mail: drhurira@hotmail.com

مدخل

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز وإظهار الترابط القائم بين الاستشراق والاستعمار وقد أوضحت كثير من الدراسات أن الاستشراق والاستعمار مضيا في طريق واحد فقد استفاد الاستعمار كثيراً من التراث الاستشراقي كما أن الاستعمار عمد إلى تعزيز موقف الاستشراق ، وقد لعب المستشرقون دوراً كبيراً في غزو الفكر والتراث الإسلامي ومناصرة ومساندة القوى الإستعمارية بالدعائم الفكرية والروحية ومن ثم وضع خارطة الطريق للتوسع الأوربي وقد تمكن الاستعمار أن يجند طائفة كبيرة من المستشرقين على نحو ما سنرى لخدمة أغراضه وتحقيق أهدافه وتمكين سلطانه في البلدان المستعمرة وبالتالي نشأت رابطة وثيقة بين الاستشراق والاستعمار^(١).

وعندما اشتدت حمى التسابق واكتشاف أي مجهول لدى الأوربيين للفوز بالشهرة وإظهار القوة والإرادة ، كان المستشرقون خير معين لهم وذلك بوضع الخطط والتوصيات اللازمة عن جغرافية البلاد وتاريخ شعوبها وقائمة بخيراتها المستغلة وغير المستغلة منها . ووفقاً لذلك سعى

المستعمر للقضاء أولاً على الحركات والثورات المناهضة وذلك باتباع سياسة العنف والقضاء على العلماء والوطنيين الشرفاء الذين يديرون الحركات التحريرية ويشعلونها ضد المستعمر فحارب المستعمر هذه الفئات حرباً لا هوادة فيها ومضى يخضع البلاد باستخدام كافة أشكال العنف في سبيل تحقيق أغراضه الشخصية . كما سعى المستعمر إلى فرض نظرية (الترابط الثقافي) وهي نظرية استعمارية تهدف إلى صهر المستعمرات في بوتقة الدولة المستعمرة بحيث تكون جزءاً منها .

وهكذا سارت السياسة الاستعمارية على نظام متسق واحد ، وإن تعددت الدول المستعمرة فهناك تشابه كبير في الطرق والوسائل التي إتبعها الإنجليز والفرنسيون وغيرهم حيث فرضوا الثقافة الأوربية على المستعمرات بفهم أن الترابط الثقافى أقوى وأمتن من سياسة الهيمنة بالقوة وأقوى على ربط المستعمرات بالوطن الأم والقصد من تطبيق هذه النظرية الاستعمارية هو تصدير المثل والقيم والأيدلوجيات الأوربية للقضاء على الوازع الديني . وحصره في الزوايا

والننوية والاستهداف المباشر للسودان ببذر بذور الفتنة بين الشمال والجنوب الامر الذي ادى الي تقسيمه وتأليب الحركات الدافورية المسلحة ضد الحكومة ومماطلتها مراراً وتكراراً لنداء السلام ، وما تزال قوى البغي والاستكبار تسعى جاهدة لتفتيت الوحدة العربية الإسلامية بفرض ابتلاع البلاد الإسلامية ذات الموارد الطبيعية الضخمة.

محاور الدراسة :

تتناول الدراسة هذا الموضوع من خلال أربعة محاور :

المحور الأول : نبذة عن المستشرق سنوك هورخرونيه (نشأته ، آثاره ، مؤلفاته)

المحور الثاني : صلة المستشرق سنوك بأرض الحجاز .

المحور الثالث : ظاهرة التبشير والتنصير في إندونيسيا .

المحور الرابع : الاستعمار الهولندي (ودور سنوك هورخرونيه في ذلك) .

المحور الأول: المستشرق كرسنتان سنوك هورخرونيه (نشأته وآثاره ومؤلفاته) :

ذكرت الدراسات أن المستشرق كرسنتان سنوك هورخرونيه (عبد الغفار فيما بعد) قد ولد ونشأ في ناحية برابانت (Brabant) شمال هولندا عام ١٨٥٧م ، وتلقى تعليمه في بريدا (Breda) ثم التحق بجامعة ليدن ودرس فيها اللاهوت ١٨٧٤م وبعد تخرجه عام ١٨٧٨م اتجه لدراسة الآداب واللغات السامية ، وقد كانت أطروحته لنيل درجة الدكتوراة بعنوان : (الحج عند المسلمين وأهميته في الدين الإسلامي) .^(٧)

وفي الفترة من ١٨٩٠ حتى ١٨٩١م انتقل إلى

والمساجد مع الاهتمام بانتشار المدارس على النمط والنسق والمنهج الأوربي ليتحقق الترابط والصلة بين الاستشراق والاستعمار في الجانب الثقافي ، والعمل على بذور روح القومية أملاً وسعيًا في تمزيق عرى الترابط بين دول الجامعة الإسلامية .

إن ظاهرة ضلوع المستشرقين في خدمة الاستعمار وغيره تحتاج لمزيد من الدراسات والفهم العميق الواقع أو لابد من إنشاء مراكز متخصصة تُعنى بهذا الأمر مثل مركز المدينة المنورة للدراسات الاستشراقية وغيرها من المراكز التي أنشأت في بعض الدول الأوربية وأن تنتهج نهجا موضوعيا بعيداً عن التكرار مع ضرورة التركيز على الجوانب المهمة لأهداف ومرامي المستشرقين حتى يمكن الحد من هذا التيار الجارف الذي ما زال يبذل ما في وسعه لضرب وحدة الأمة الإسلامية وهي غافلة أو متغافلة عما يدور حولها ، فبالرغم من أن موجة الاستعمار قد تلاشت ونالت معظم الدول استقلالها إلا أن غفلة العالم الإسلامي وبعده عن قيم الدين والتعاليم الإسلامية قد شجع هؤلاء بإعادة الكرة مرة أخرى لابتلاع العالم الإسلامي ، وعلى سبيل المثال لا الحصر الحروب التي شهدتها منطقة الخليج خاصة بين العراق وإيران والتي استمرت لثمانى سنوات واحتلال العراق للكويت (حرب الخليج) ١٩٩١م . وتفتيت الدولة الأفغانية والاضطرابات التي شهدتها أفريقيا والمجازر التي تقوم بها إسرائيل ضد الشعب الفلسطيني واحتلال الولايات المتحدة الأمريكية وحليفاتها لدولة العراق وما تقوم به الولايات المتحدة من تهديد لإيران بضرب مفاعلاتها

عرضت عليه جامعتي كمبريدج وليدن كرسي أستاذ اللغة العربية إلا أنه رفض وفضل الاستمرار في دراساته الإسلامية في جزائر الهند الشرقية التابعة لهولندا . وقد عُين عام ١٨٨٩م مستشاراً للشؤون الإسلامية والشرقية هناك ^(٦) . فأقام في جزيرة جاوا مقاطعة أشة (Ashe) وألف كتاباً لم يترك شاردة ولا واردة عن الجزيرة إلا وأوردها فيه .

صار هورخرونيه عالماً في مجال الدراسات الإسلامية اشتهرت كتاباته ومؤلفاته فيها والتي وظفت اللغة والتاريخ ، وعُد من الرواد في الفقه الإسلامي وعلم الأصول والحديث والتفسير في أوربا ^(٧) . يضاف إلى ماثره تلك أن هورخرونيه قد ألف العديد من الكتب نذكر منها على سبيل المثال :

- ١ / الحج إلى مكة (بالهولندية) وهي الأطروحة التي نال بها إجازة الدكتوراة .
- ٢ / مكة Mekka (باللاتينية) عبارة عن مجلدين كبيرين .
- ٣ / مقالات وأبحاث لسنوك .

وقد جمعت هذه المجموعة في ستة مؤلفات حملت اسم (الإسلام وتاريخه) ، و (الشريعة الإسلامية) و (بلاد العرب وتركيا) و (الإسلام في المهاجر الهولندية) و (اللغة والأدب) و (ملحوظات في الكتب) ^(٨) .

- ٤ / مختارات من كتابات سنوك هورخرونيه (باللغتين الإنجليزية والفرنسية) نشرت بليدن ١٩٥٧م .
- ٥ / مقترحات سنوك هورخرونيه الرسمية (١٨٨٩-١٩٣٦م) . صدرت بليدن ١٩٥٧م .

مدينة ستراتسبرج للعمل تحت إشراف المستشرق الألماني نولدكة ، وبحلول عام ١٨٨٢م عُين محاضراً للدراسات الإسلامية في كلية تدريب الموظفين لجزر الهند الشرقية التابعة لجامعة ليدين ^(٩) .

مُنح إجازة دراسية لمدة عام للسفر لجزيرة العرب للوقوف والتعرف عن قرب على حياة المسلمين وحقيقة الدين الإسلامي ^(١٠) ، وقد نجح في ذلك وتمكن من الوصول إلى مدينة جدة فمكث بها عاماً ثم دخل إلى مكة المكرمة تحت اسم مستعار هو عبد الغفار ، وقد بقي في مكة فترة من الزمن تمكن من خلالها أن يكمل كتابه عن مكة في جزأين ، حيث تناول في الجزء الأول تاريخ مكة ، وفي الجزء الثاني قام بوصف الحالة الاجتماعية العامة لأهل الجزيرة العربية وقد كان دقيقاً في الوصف . بجانب ذلك وأثناء وجوده في مكة جمع أمثالاً كثيرة ، والكلمات الدارجة ونشرها مع ترجمتها وتفسيرها ، كما بين تأثير مكة المكرمة كمركز إسلامي وأهميتها للعالم الإسلامي ، وأفرد مساحة لتطورات القضايا الدينية والعادات والتقاليد وتداخلها مع بعضها البعض ، وقد فاق كرستيان بهذه الدراسة جميع الرحالة والزُوار الذين قصدوا مكة المكرمة خاصة الذين دونوا تاريخها ^(١١) .

أهم آثاره ذلك السفر الضخم الموسوم بصفحات من تأريخ مكة المكرمة والذي تناول فيه دراسة الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية من البعثة النبوية الشريفة وحتى نهاية القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) عام (١٣٥٠هـ) - (١٨٨٨ - ١٨٨٩م) .

تشوه صورة الإسلام والمسلمين ، يضاف إلى ذلك عقد المؤتمرات الاستشراقية وإلقاء المحاضرات وحلقات البحث المتخصصة ، كل هذا الزخم كان الهدف منه النيل من الإسلام والمسلمين معتمدين على دوافعهم وأهدافهم مما أوقعهم في كثير من الأخطاء المقصودة وغير المقصودة.^(١٠)

١-٢-٢ : المحور الثاني :- صلته ببلاد الحجاز) رحلته إلى الجزيرة العربية) :-

قرر هورخرونيه بعد نيله شهادة الدكتوراة من جامعة لبدن السفر إلى شبه الجزيرة العربية ليتعرف على حياة المسلمين وحقيقة الدين الإسلامي والتلمس عن قرب عن دور الروحانيات في مظاهر الحياة السياسية والاجتماعية ، ودراسة سيكولوجية المسلمين والوقوف على مواطن الضعف بين المسلمين . ولكي يربط القول إلى الفعل تظاهر باعتناق الإسلام على رؤوس الأشهاد وذلك بعد أن سمع القاضي برغبته وبحضور شاهدين عدلين شهدا وبلغا الوالي والملا واستمر يمثل هذا الدور على المسلمين في مكة ومن بعد في إندونيسيا^(١١)

وأجريت له عملية الختان وغير اسمه إلى اسم عربي هو عبد الجبار وتكرر في ملابس مسلم محرم وذهب إلى الحجاز . وبالرغم من إتقانه للعربية إلا أنه أمضى في جدة خمسة أشهر يتعلم اللهجة المحلية متخذاً من مبنى القنصلية الهولندية بجدة مسكناً له ، وفي عام ١٣٠٢ هـ / ١٨٨٥ م غادر إلى جدة برفقة أحد رجال الجاوى . وفي مكة صار يجالس العلماء وشيوخ التعليم فوطد عُرى علاقاته بالكثير من علماء مكة وبالكثير من علماء جاوة وسومطرة وآتشيه ممن

٦/ كتب في العديد من دوريات الاستشراق منها:

-مجلة تأريخ الأديان : نشر فيها : محمد والقانون الإسلامي والجزيرة العربية والهند .

-مجلة العالم الإسلامي : طابع الإسلام وهولندا ومسلموها وانتشار الإسلام في الهند الشرقية وإبراهيم في القرآن ودار الإسلام والمشكلة العنصرية .

-مجلة الإسلام نشر فيها : الاستشراق في هولندا .

-المجلة الأفريقية : نشر فيها : سياسة النبي محمد الدينية .

-مجلة المعهد الشرقي نشر فيها : إلى حضرموت .

-في تكريم براون (١٩٢٢م) نشر مقالاً عن عزلة الحجاز .

-ألقى أربع محاضرات عن الإسلام في الولايات المتحدة الأمريكية نشرت في نيويورك (١٩١٦م).^(٨)

يتضح مما سبق أن المستشرقين قد عمدوا إلى تحقيق أهدافهم من خلال العديد من الوسائل والأساليب ، فلم يتركوا مجالاً من مجالات الأنشطة المعرفية والتوجيهية إلا وتناولوه ، فنجدهم ولجوا التعليم الجامعي لدراسة وتدريس الاستشراق الأكاديمي ، وقاموا بنشر أبحاثهم في المجلات والدوريات العالمية وكانت أخطرها مجلة العالم الإسلامي التي أنشأها عميد التبشير العالمي صمويل زويمر ١٩١١م والتي توزع في جميع أنحاء العالم هذا بجانب تأليف الكتب(التاريخ الإسلامي ، الشريعة ، الفلسفة ، والأدب) التي

تتألف من : البترول ، الغاز الطبيعي ، النيكل ، المطاط ، الفحم الحجري ، الذهب والفضة ^(١٤) . يقدر عدد السكان بحوالي ٢٣٢,٥ (٢٠٠٨ july) ، يشكل المسلمون الغالبية ٩٠٪ وينتمون إلى العرق الملايوي ويتحدثون الملايوية (بهاسا اندونيسيا) وهي اللغة الرسمية والأكثر انتشاراً ^(١٥) .

ثانياً : خلفية عن ظاهرة التبشير في اندونيسيا : -

ظاهرة التبشير في اندونيسيا قديمة يقال منذ (١٥٠٠م) عندما تمددت البرتغال في مناطق مالوكو (جزر البهار) ونشطت الكنائس في الجزر الاندونيسية وسيطروا على المنطقة بالمال والعلم فتمكن النصارى (٣٪) من تبؤ المناصب القيادية في الجيش والوزارات المدنية وقد كانت الخطة التي انعقدت في مؤتمر المبشرين في مدينة (مالانج) ١٩٦٧م أن يتم تنصير المسلمين في جزيرة جاوة خلال عشرين سنة . وأن يتم تنصير اندونيسيا كلها خلال خمسين عاماً ، وقد تضافرت عوامل ساهمت في المد المسيحي منها : إنشاء دور النشر الكبرى والمطابع المتطورة لطباعة الإنجيل . والنشاط المكثف من قبل المبشرين زد على ذلك أن أمر التبشير استفحل في عهد (سوكارنو) الذي انفرد بالسلطة وحل حزب (ماشومي) الإسلامي العقائدي صاحب الأغلبية في المنطقة والذي كان يقاوم الاستعمار والتنصير وينادي بالاستقلال ^(١٦) .

ونشطت المؤسسات التبشيرية تساندها القوى الجبارة ، فإحصائية ١٩٧٥م توضح أن مجلس الكنائس لطائفة البروتستانت باندونيسيا حوالي ٩٨١٩ كنيسة ، وذات الإحصائية تكشف أن

كانوا في مكة ومن خلال تردده على هذه المساجد والمجالس والديوان والمقاهي ، خبر سنوك ما يدور في دهاليز السياسة وأمور الفكر والثقافة وتعرف عن قرب على النظم المثالية والحياة الواقعية وعلى سيكولوجية المسلمين ^(١٧) .

أوردت جريدة اسطنبول العثمانية خبراً نقلاً عن جريدة الزمان الفرنسية (l'etemps) مفاده أن هناك هولندياً تحت اسم عبد الغفار يحاول الحصول على أحجار ونقوش أثرية ، فأمرت الحكومة العثمانية والي المدينة المقدسة بإبعاده . كذلك هناك رواية تقول أنه عندما جاء إلى مكة سكن منطقة سوق الليل واضطر إلى مغادرتها قبل موسم الحج حتى لا ينكشف أمره ، وكلمات تقوه بها وكيل قنصل فرنسا في جدة بأن هورخرونيه له يد في قتل هوبر للحصول على النقوش وخاصة حجر تيماء (tima stone) . أيأ كان السبب فقد أمر بمغادرة المدينة المقدسة ^(١٨) .

المحور الثالث : - ظاهرة التبشير في إندونيسيا

أولاً : إندونيسيا من حيث الموقع والتركيب السكانية :

تقع اندونيسيا في جنوب شرق آسيا ما بين قارة آسيا وأستراليا ، تشترك في الحدود مع ماليزيا في الشمال وبورنيو (دار السلام) في الشرق تتميز جغرافياً بالتنوع والتنوع فتكون من أرخبيل جزر تتمدد في المحيطين الهندي والهادي . وتقدر مجموعة الجزر التي تتكون منها اندونيسيا بحوالي ٧٩٠٠ جزيرة وأكثر الجزر مأهولة هي جاوة ، والمناخ يتدرج بين الاستوائي الحار الرطب ومعتدل في المناطق المرتفعة . ومصادرها الطبيعية

المحور الرابع : سنوك ومساندته للاستعمار الهولندي -

الفكرة الاستعمارية لها ارتباط وثيق بالنهضة الأوروبية والحروب الصليبية التي اندلعت في بلاد المشرق والمغرب الإسلامي ومن ثم شبه القارة الهندية وجزر أرخبيل الملايو ، فقد كانت الغاية الأساسية الإلتفاف حول الكيان الإسلامي ومحاصرته من الشرق والغرب والوصول لهذا الهدف مهما كلفهم من ثمن ، هذا فضلاً عن استغلال خيرات وثروات البلاد الطبيعية خاصة مناطق أرخبيل الملايو التي اشتهرت بالبهارات والتوابل والذهب .^(١٧)

لم تُشر المراجع المتاحة أن سنوك قد ارتد عن الإسلام بعد خروجه من مكة ، فقد استمر يخضع الكل بادعائه الإسلام أثناء وجوده في اندونيسيا ، وقد تزوج امرأة مسلمة (إحدى بنات الأمراء) تدعى خديجة يوسف أنجبت منه عدداً من الأولاد أكبرهم يشغل منصباً كبيراً في الشرطة الاندونيسية الأمر الذي رجحه الكثيرون عدم رده عن الإسلام بعد خروجه من مكة .

ويكاد يجزم معظم المؤرخين أن سنوك كان بارعاً في تمثيل الدور حتى على زوجه وأولاده وعلى كثير من المسلمين ، حتى لقبه بعضهم بلقب (مفتي بتافيا) و(شيخ الإسلام) .

مهما يكن فإن أمر إسلام سنوك سيظل غامضاً فالرجل فيما يبدو كان يفرق بين المصلحة الوطنية وبين اعتناق الدين باعتباره أمراً شخصياً خاصاً به وعلى ذلك فهو يتصدى ويحارب كل من يقف في وجه المصالح القومية الهولندية أو حتى يسيء إلى سمعة هولندا في جزر الهند الشرقية ، كذلك

للطائفة الكاثوليكية ٧٢٥٠ كنيسة ، وتنامى أعمال مجلس الكنائس العالمي والفاتيكان في الإسهام في أعمال التنمية في اندونيسيا تحت شعار (من الكنيسة إلى المجتمع) تحت إدارة وإشراف هيئة مجلس الكنائس .^(١٧)

وقد وضع المبشرون خططاً لتنفيذ ذلك كما أورد عبد المتعال محمد الجبري في الآتي : -^(١٨)

١- شراء المواقع الاستراتيجية لبناء الكنائس ودور الكتاب المقدس .

٢- إقراض المزارعين مقابل إلحاق أبنائهم بالمدارس التبشيرية .

٣- إنشاء الأندية والمكتبات العامة لاستقطاب الشباب .

٤- توزيع بعض المعونات المادية والعينية للفقراء .

٥- إنشاء دور الاحتفالات .

بجانب ذلك هناك عوامل طبيعية ساعدت المبشرين تتمثل في أن المنطقة متراصة الأطراف ويصعب التنقل بينها فتعرضت الجزر البعيدة لشراذمة المبشرين لعدم قرب من ينقذها في الوقت المناسب ، فبعد هذه الجزر عن بعضها البعض سهل مهمتهم التي أتوا من أجلها ، كما أن جهل بعض الاندونيسيين بالدين وحاجتهم للمادة التي تعينهم في الحياة والمغريات المادية المقدمة لهم كل ذلك سهل من مهمة المبشرين .

نخلص مما سبق أن الفارة التبشيرية على اندونيسيا رغم تدثرها بثياب التدريس وتارة بالتوجيه الاقتصادي أو المعونات الإنسانية ، ولكن تبقى الحقيقة الواضحة أن ما حدث في اندونيسيا يُعد نموذجاً وصورة طبق الأصل لما حدث في أسلوب عمل المبشرين في البلاد الأخرى .

يظل أمر إسلامه مشكلة تثير الجدل بين الباحثين بين مؤيد ومعارض ولكل حجته. (٢٠)

بدأ الاستشراق الهولندي في جامعة ليدن أكثر جامعات أوروبا عراقة وقد تخرج هورخرونيه فيها وعمل فيها وكانت مرامي الجامعة فيما يختص بالدراسات الشرقية تنحصر في التي :-

١- نشر المسيحية ، فاهتمت بترجمة الإنجيل والتعاليم النصرانية إلى العربية لتسهيل مهمة البعثات التبشيرية في البلاد العربية .

٢- ارتبطت مصالح هولندا مع معظم الدول الإسلامية اقتصادياً وسياسياً فاستعانت بمستشركي جامعة ليدن الملمين بالعربية .

٣- ولما كان السواد الأعظم من سكان إندونيسيا هم مسلمين فإن هولندا ركزت الاهتمام بهذه المنطقة وأن وكلاء الشركة الشرقية الهولندية كانوا ينقلون ما يجدون من المخطوطات والدرر الإسلامية إلى جامعة ليدن.

من خلال شخصية هورخرونيه فقد جمع من خلال دراساته الاستشراقية الدوافع آنفة الذكر (٢١).

وتذكر بعض الدراسات أن سنوك لم يكن متحمساً كثيراً للتبشير خاصة في المناطق الإسلامية فقد كان يسعى إلى سياسة الترابط الثقافي بين هولندا ومستعمراتها حتى يتسنى ربط المستعمرات للوطن الأم بروابط ثقافية وحضارية مشتركة ، لذلك كانت خطة سنوك هي تخدير حكومته من خطر الانقياد لجمعيات التبشير وعدم الضغط على حريات المسلمين الدينية (٢٢) . وفي رأيه أن هولندا تُخطئ إذا أقامت عقبات في طريق الحج لا سيما لمسلمي منطقة الجاوة ، وعليها أن تسلك

مسلكاً وسطاً فلا تحت على هذه الشعيرة ولا تنهي عنها ، وذلك كما فعلت في طريقة فريضة الزكاة ، حيث اعتبرت من قبيل الصدقة الاختيارية فلم تحمل عليها أحداً بالقوة ولا تمنعها بالقوة (٢٣) ، كما رمت خطة سنوك إلى بث الفرقة بين المسلمين الذين يمثلون الأغلبية وبذر بذور الفتنة وتشويه صورة الإسلام لدى الشباب المسلم وذلك بدس المغالطات في تعاليمه وأحكامه. ولتحقيق هذه الأغراض وضعت مناهج دراسية جديدة للمعاهد والمدارس في إندونيسيا واستغلال مناخ الحرية العقائدية السائدة . (٢٤) وكذلك لوقف تيار تنامي انتشار الإسلام بين الوثنيين من قبل الموظفين المحليين المسلمين فعلى الحكومة وقف هذا التيار بعقلانية فسُنوك يميل إلى الاعتدال وعدم مصادمة المسلمين في عقائدهم من باب اختيار أخف الضررين. (٢٥)

تزامن مع وجود سنوك في اندونيسيا اشتداد حمى الزحف والتوسع الاستعماري ، وزيادة نشاط المبشرين بغية حماية المستعمرات ، ولما كانت لسُنوك إسهامات لا تخطئها العين حيث استخدم علمه وثقافته في سبيل مصلحة بلده خاصة صيحاته المتكررة بضم الأراضي ما وراء البحار إلى الوطن الأم ، عينته حكومة هولندا مستشاراً في وزارة المستعمرات الهولندية في المسائل الإسلامية والعربية في اندونيسيا حيث قضى فيها سبعة عشر عاماً ، أسند إليه خلالها العديد من المهام كان أبرزها وضع الخطط والاستراتيجيات والتوصيات اللازمة للقضاء على الحركات المناهضة لهولندا في اندونيسيا ، فكان يقف بجانب حكومته سراً يوصيها بإتباع سياسة

فقط ، فضلاً عن حذف باب الجهاد من المقررات ، فقد استخدم سنوك عالم الدين عثمان بن يحيى في مهاجمة المتصوفة المجاهدين ضد هولندا ، كما كلفت الحكومة الهولندية الضابط رنكس المسئول في إدارة شؤون العرب باستخدام أحمد السوركتي المدرس في جمعية خير - والذي أصبح الزعيم الروحي لجمعية الإصلاح والأرشاد - (٢٩) لإضعاف أثر السادة العلويين في أوساط السكان المحليين لمصلحة استقرار الأوضاع للسلطة الهولندية الإستعمارية . (٣٠)

واستمرت هولندا في نشر الفتنة وشد أزr رجالها فاندلعت نيرانها تلتهم القلوب وتدمر كل شئ أتت عليه . وما يزيد الأمر جلالاً أن رجلاً من بني الأرض الوطنية استعانت بهم هولندا ، ولكن هذه الجمرة المشؤمة التي نفخ عليها هؤلاء تطايرت فيما بعد شررها نحو وجوههم واتجه دخانها نحو أبصارهم فأعماها . (٣١)

وقد اتبعت حكومة هولندا الاستعمارية عدة أساليب تجاه سياستها التفسيرية نحو أهالي البلاد ، فقد أحيت العادات التي كانت قبل الإسلام ، وألغت الأحكام الشرعية التي كانت مطبقة في الإمارات الإسلامية بجزر الهند الشرقية ، كما مارست عمليات تنصير البوذيين والهندوس وأصحاب الديانات البدائية على ضفاف المسلمين ، بجانب إرغام كل سلطان على تسليم خمس إنتاج رعاياه للحكومة الهولندية وهذا ما يعرف بالتسليم الإجباري الأمر الذي قاد إلى الفقر والبؤس وسط السواد الأعظم من الشعب المغلوب على أمره . يضاف لذلك أن غيرت الأبجدية الجاوية العربية القريبة من التعاليم الإسلامية إلى الأبجدية

العنف ضد العلماء المغامرين الذين يحركون الثورات خاصة في مناطق آتشيه . (٣٢) ، هذا بجانب نظريته المشهورة وهي نظرية (الترابط الثقافي) والتي من خلالها ربط المستعمرات بالوطن الأم ، وهي ترمي إلى صهر المستعمرات في بوتقة الدولة المستعمرة ، عليه لا بد من تصدير الثقافة الأوربية إلى هذه المستعمرات فيما وراء البحار ، وهي ذات السياسة الاستعمارية التي انتهجها معظم الدول المستعمرة مثل إنجلترا وفرنسا . (٣٣)

لم تكلل مساعي سنوك بالنجاح التام في ربط اندونيسيا بالوطن الأم (هولندا) كما فعلت سورينام وجزائر الأنتيل التي رفضت الاستقلال وفضلت البقاء تحت هيمنة الهولنديين ، فاندونيسيا مفعمة بالأصول الثقافية التي وفرها لها الإسلام ، لذلك كانت نصيحة سنوك لدولته عدم اتخاذ التبشير كأداة للاستعمار فلا بد من تصدير القيم والمثل الأوربية وصبغ الأمة الاندونيسية بالصبغة الهولندية عن طريق العلم والتربية والعمل على المدى البعيد في إضعاف الوازع الديني وحصره في المساجد والزوايا . (٣٤)

، ولا بد من قطع الصلات بين اندونيسيا والعالم الإسلامي لأن المسلمين في العالم الإسلامي حينما يعتصمون بالخلافة فإنهم لا يطيعون الحكومات المسيحية ، حيث اتفق الأوروبيون على كسر عصا الجامعة الإسلامية وحرمان الاندونيسيين من المساهمة في تشييد سكك حديد الحجاز ، أو تقديم الإعانات لجرحي القوات العثمانية ، أيضاً لفت انتباه حكومته ألى مراقبة التعليم الديني وأن ينحصر الإسلام في المواعظ وأحكام الصلاة

الهولندية في إطار حملة الغزو الفكري ومحاربة الإسلام^(٢٢). يريد سنوك محو أي أثر للتضامن الإسلامي وحذف ما يشتم منه رائحة الدفاع عن الأمة. هذه الآراء وغيرها اعتمدت عليها هولندا في سياستها في الشرق عموماً وفي اندونيسيا على وجه الخصوص. ونجح الفكر الاستشراقي في مساعدة الإستعمار وتحقيق مبدأ الوجود الحضاري للدول المستعمرة في مستعمراتها فيما وراء البحار^(٢٣).

يعد سنوك نموذجاً للمستشرق الذي خدم الاستعمار الهولندي وله الدور الطليعي في تسخير علمه لهذا الغرض حتى أصبحت اندونيسيا جزءاً من المملكة الهولندية^(٢٤). ولم تنقطع الصلة بين المستعمرين والمستشرقين فبقيت الكثير من المؤسسات التبشيرية جنباً إلى جنب مع الاستعمار لالتقاءهما في طريق واحد في كثير من الأحيان، أومتى ما حتمت الضرورة السياسية ذلك، وكان التركيز في تلك الفترة على الدول الأفريقية والآسيوية غير العربية^(٢٥).

وهكذا تحققت أغراض هولندا الاستعمارية في السيطرة على المنطقة والانطلاق نحو التنصير والترابط الثقافي وغير ذلك، هذه الأغراض العملية قد أفرزت انتاجاً علمياً كبيراً ساهم فيه سنوك هورخرونيه أشهر مستشركي هولندا معرفة بمنطقة الجزيرة العربية واندونيسيا لنشاطه في هذين البلدين وعُد من رواد الفقه الإسلامي والحديث والأصول في أوروبا بعد جولدزيهر، لأن معظم من كتب عنه قد كال له المديح والثناء لكثرة ما كتب من مؤلفات ومقالات وكان خصب الإنتاج كتب في معظم المعارف الإسلامية والعربية

لتمكنه من العربية وبعض اللغات الاندونيسية، ويقابل ذلك آخرون يرونه متحاملاً ومتجنباً وغير منصف فقالوا أنه عدو عاقل ولكنه شديد الخطر، ومن أخطر المآخذ على سنوك نظريته الخاصة حيال ما يجب أن يكون عليه الدين الإسلامي مقصوراً على العبادات، مجرداً من الجهاد، معزولاً عن واقع المسلمين العملي، كذلك رأيه أن الشريعة الإسلامية المستندة على القرآن الكريم والسنة موجودة في الكتب النظرية، فعملياً لا تصلح لإقامة نظام سياسي يستند عليها^(٢٦).

فهذا هو سنوك هورخرونيه بأعين الأصدقاء والخصوم يحتاج لمزيد من الدراسة. على العموم بقيت هولندا في إندونيسيا (جزر الهند الشرقية كما كانت تسمى في السابق) زهاء الثلاث قرون، أثرت فيها لغوياً، ثقافياً، اجتماعياً، ودينياً.

ورغمًا عن ذلك قام الإندونيسيون بصحوة دينية أسمعت بها العالم آنذاك وذلك بقيام منظمة إسلامية باسم (Syarikat dngang islam سنة ١٩٠٦ م (١٣٢٢هـ). ولما لم تستطع هولندا الوقوف في وجه هذا التيار لجأت إلى الإيقاع بين الإندونيسيون أنفسهم وذلك بتشجيع مذاهب منافية للإسلام مثل الاشتراكية والشيوعية والقومية، نجحت هذه الفكرة لحد ما فتأسست سنة ١٩١٧ م (١٣٣٥هـ) أحزاب إشتراكية هولندية، وفي عام ١٩٢٠ م (١٣٣٩هـ) أعلن قيام الحزب الشيوعي الإندونيسي (Partic komunis indonesia).

غاية ما في الأمر طالت رحلة الجهاد الإسلامي والمقاومات الشعبية والتي توجت في ١٧ أغسطس ١٩٤٥ م (٩ رمضان ١٣٦٤هـ) باعلان إستقلال

المسلمين بأهداب الدين الإسلامي والعمل بقيم وغايات الإسلام وأن يعبر كل إندونيسي عن ذاته تعبيراً صادقاً في ظل تعدد الديانات والمعتقدات والثقافات وقد أسند هذا الأمر إلى مجلس علماء الإسلام في إندونيسيا ليقوم بدوره في الحفاظ على الذات الإسلامية .

هوامش البحث :-

١/ عبد الله محمد الأمين النعيم : فقه الاستشراق في السيرة النبوية ، مجلة تفكر ، مج (٢/١) ع (٢/١) (١٤٢٢هـ - ٢٠٠٠) ص ١٢١ - ١٢٢ .

٢/ عبد اللطيف بن دهيش : دراسة موجزة لبعض مؤلفات هورخرونيه في تاريخ الجزيرة العربية - العرب ع ، ١١ - ١٢ ، السنة ١١ ، (١٣٩٧هـ) ص ٩٤٢ - ٩٤٨ .

٣/ Ralli.A : " Christians at Mekka)- London (١٩٥٩) pp . ٢٢٣ - ٢٤٣ .

٤/ يؤكد ذلك ما ذهبت إليه بعض الدراسات أن المستشرقين ركزوا على دراسة الشعوب والحضارات واللغات الخاصة بالعالم الإسلامي من خلال التاريخ العام مركزين على الجوانب القائمة فيه وذلك لخدمة المخططات الاستعمارية بغية اضعاف العالم الإسلامي وتشويه انجازاته وتشويه الشخصية المسلمة أمام العالم الغربي . محمد إبراهيم الفيومي - الاستشراق رسالة استعمار (القاهرة ١٩٩٣ م) . ص ٢٠٧ . وأنظر محمد أركون ومكسيم رودنسون وآخرين : الاستشراق بين دعااته ومؤيديه . دار الساقى (لبنان ١٩٩٤ م) ، ط ١ ، ص ٨٥ .

٥/ ك. سنوك هورخرونيه : صفحات من تاريخ مكة المكرمة ، ج (١) ، دراسة للأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية من البعثة النبوية الشريفة وحتى نهاية القرن الثالث عشر الهجري نقله إلى العربية : على

إندونيسيا وقد نهجت الدولة فلسفة البانشاسيلا (panshasila) ذات المبادئ الخمسة : توحيد الإله ، الوطنية ، الإنسانية ، والديمقراطية بقيادة الرئيس سوكارنو ، وقد وجدت هذه المبادئ معارضة بحجة أنها لا تحمل تعاليم الإسلام في تفاصيلها وأن الأمة لا تريد دولة إسلامية صرفة دستورها القرآن الكريم .^(٢٧)

وأحسب أن إندونيسيا اليوم تهتم بإعادة كتابة مظاهر تاريخها العام وحضارتها الإسلامية التي تعرضت لمؤامرات تحت برائن الاستعمار فبدأ الإندونيسيون تصحيح ذلك بدءاً بحركات التحرير وقد سجل التاريخ أسماء أبرز الشهداء على رأسهم حسن الدين وتكو عمر وغيرهما كثر ، ومن المؤرخين الذين ساهموا في تصحيح تاريخ إندونيسيا وحضارتها محمد عمر باحارثة والدكتور رسلان عبد الغني وغيرهما . وقد عكفت الحكومات المتعاقبة على خطوات من شأنها المساعدة في استقرار المنطقة والمحافظة على هويتها الإسلامية وذلك بالاهتمام بالتعليم الإسلامي ، وقضية تنظيم الأسرة بالزواج الذي يعد من حقوق الإنسان التي عني بها الإسلام ، كذلك ضمان الحرية الدينية الكافية لمعتنقي الديانات لأداء شعائهم في حرية وعلمية والقيام بالدعوة وذلك تحت رقابة الحكومة . بجانب ذلك الاهتمام باللغة العربية باعتبارها لغة القرآن الكريم فسعت الدولة لإنشاء المدارس القرآنية وإقامة الحفلات السنوية لحفظ وتلاوة القرآن الكريم وتدعيم علاقاتها وتمييزها مع الدول الإسلامية والعربية ، كما اهتمت الدولة بحماية الذات ، فالهوية الإسلامية في المجتمع الإندونيسي تكمن في تمسك

- عودة الشيوخ ، أعاد الصياغة والتعليق محمد محمود السرياني ومعراج نواب مزرا ، مراجعة محمد إبراهيم علي . دا رالمك عبد العزيز (١٤١٩هـ - ١٩٩٩م) ، ص ٢٧ - ٢٨ .
- ٦/ الرسالة : ع ١٥٨ ، السنة ٤ (١٩٣٦م) (١٣٥٥هـ) ، ص ١١٦٠ .
- ٧/ عبد اللطيف بن دهيش - المرجع السابق - ص ٢٨ - ٢٩ .
- ٨/ ك. سنوك : المرجع السابق ، ص ٢٩ . وانظر : نجيب العقيقي : المستشرقون ، ج ٢ ، ط ٣ ، دار المعارف ، مصر ، ص ٦٦٧ .
- ٩/ نجيب العقيقي : المرجع السابق ، ص ٢٦٦ - ٢٦٧ .
- ١٠/ محمد فتح الله الزيايدي : انتشار الإسلام ، ط ١ ، دار قتيبة ، لبنان ، (١٤١١هـ - ١٩٩٠م) ، ص ٦٠ - ٦١ .
- وانظر عبد القهار داؤود العاني وسعدون محمد الساموك : مناهج المستشرقين . جامعة بغداد ، كلية الشريعة ، بيت الحكمة للطباعة والنشر (بدون سنة طبع) ، ص ٢١ - ٢٢ .
- ١١/ سنوك هورخرونيه : المرجع السابق ، ص ٣٠ . وانظر ميشيل هوينيك : قرن ونصف على ميلاد المستشرق الهولندي سنوك هورخرونيه ، العربية ، ٢١/ ٢٠٠٧م ، الشبكة العنكبوتية .
- ١٢/ ك. سنوك هورخرونيه : المرجع السابق ، ص ٣١ - ٣٢ . وانظر أخبار الأدب ، العدد ٦٩٠ ، ٢٠٠٦م (١٤٢٧هـ) ، ص ٤ .
- ١٣/ للمزيد من التفاصيل راجع ك. سنوك هورخرونيه ، المرجع السابق ، ص ٣٢ - ٣٦ .
- ١٤/ محمد علي محمد الطيب : انتشار الإسلام في جنوب وجنوب شرق آسيا ، منشورات جامعة السودان المفتوحة ، (٢٠٠٦م) ، ص ٤٦ . وانظر أحمد شلبي :
- التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية (القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ٩ شارع عدلي ، ط ٨ ، ج ٨ ، ص ٤١٦ .
- (The world fact book) Indonesia ، ٢٤ ، ٢٠٠٨ ، July
- ١٥/ شق الإسلام طريقه إلى اندونيسيا خلال الثلث الأول من القرن الهجري الأول وقد تجاوب الشعب مع دعوة الإسلام وتقوقت الثقافة الإسلامية على الثقافات السائدة فظهرت الحضارة الإسلامية كأرقى حضارة شهدها العالم بأسره ، فحافظ الشعب الاندونيسي على هويته رغم خضوعه للاستعمار لأن الإسلام شكل خط الدفاع الأول للمسلمين .
- محمد علي محمد الطيب : المرجع السابق ص ٤٦ .
- وانظر محمود بيومي : ماور رئيس مجلس علماء الإسلام في اندونيسيا حول الثقافة الإسلامية وتقويتها على جميع الثقافات العالمية ، بمجلة الوعي الإسلامي ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، الكويت ، العدد ٢٠٠ ، (٢٠٠٩) ، ص ١ .
- ١٦/ رؤوف شلبي ، المسيحية الرابعة ، ط ١ ، ص ٤ - ٨ . وانظر عبد المتعال محمد الجبري ، الاستشراق وجه للاستعمار الفكري ، مكتبة وهبة القاهرة ، ص ١٠١ .
- ١٧/ المرجع نفسه ، ص ١٠٣ .
- ١٨/ الاستشراق وجه الاستعمار الفكري ، ص ١٠٣ .
- ١٩/ عبد الفني يعقوب فطاني : المرجع السابق ، ص ١٠٨ .
- ٢٠/ قاسم السامرائي : الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية (الرياض ١٤٠٣هـ) ص ١٠٣ . وانظر ك. سنوك هورخرونيه ، المرجع السابق ، ص ٤٠ - ٤١ .
- وانظر من أعلام الاستشراق الهولندي ، مركز المدينة

- العالمية ماليزيا .
- ٢٠/ الصادق أحمد مكنون : علاقة الحضارة في جنوب شرقي آسيا بأرض الوطن وسياسة الفصل العنصري الهولندية وأثرها في الحفاظ على الهوية والإندماج ، ورقة قدمت في المؤتمر الدولي التي نظمتها شعبة التاريخ بالجامعة العالمية بماليزيا بالتعاون مع سفارة اليمن بماليزيا بتاريخ أغسطس ٢٦ - ٢٨ / ٢٠٠٥ م ، ص ٤٨٧ .
- ٢١/ أحمد إبراهيم أحمد أبوشوك : المرجع السابق ، ص ٢٢٣ .
- ٢٢/ عبد الغني يعقوب فطاني : نظرات في التاريخ الإسلامي لأرخبيل الملايو ، ط ١ ، ٢٠٠٧ م ، دار التجديد للطباعة والنشر والترجمة ماليزيا ، ص ١٢٠ .
- ٢٣/ سنوك : المرجع السابق ، ص ٤٧ - ٤٨ . وانظر شكيب أرسلان : حاضر العالم الإسلامي ، ص ٢٤٣ . وكذلك القرشي سعد : هولندا الروح الطليقة ، مقال بمجلة أخبار الأدب ، ٣٠/٩/٢٠٠٦ م ، العدد ٦٩٠ ، ص ٥ .
- ٢٤/ انظر بتوسع قاسم السامرائي . الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية (الرياض ١٤٠٣ هـ) ، ص ١١٠ - ١٤٠ . وانظر : الشبكة العنكبوتية مدارس الاستشراق (المدرسة الهولندية) ، مقال بمجلة المدينة المنورة لدراسات وبحوث الاستشراق ، ص ٢ .
- ٢٥/ عبد المال محمد الجبري ، المرجع السابق ، ص ١٧٣ - ١٧٤ .
- ٢٦/ سنوك : المرجع السابق ، ص ٤٨ - ٥٠ .
- ٢٧/ عبد الغني يعقوب فطاني : المرجع السابق ، ص ١٢١ - ١٢٢ .
- المنورة لدراسات وبحوث الاستشراق ، ٢٠٠٥ ، ص ٢ .
- ٢١/ قاسم السامرائي ، المرجع السابق ، ص ١٠٨ . وانظر ميشيل هوينيك قرن ونصف على ميلاد المستشرق الهولندي سنوك هورخرونيه ، ترجمة محمد الأيوبي ، العربية ، الشبكة العنكبوتية ، ٢١/٢/٢٠٠٧ م ، ص ١ - ٢ .
- ٢٢/ شكيب أرسلان : (سنوك هورخرونيه) ، مجلة الفتح ، العدد ٢٤٣ ، ص ١ - ٣ . وانظر محمد علي محمد الطيب ، المرجع السابق ، ص ٥٨ - ٥٩ .
- ٢٣/ سنوك : صفحات من تاريخ مكة المكرمة ، المرجع السابق ، ص ٤٣ .
- ٢٤/ محمد بيومي : الثقافة الإسلامية تفوقت على جميع الثقافات العالمية ، مجلة الوعي الإسلامي ، تصدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، الكويت (٢٠٠٨) ، العدد ٢٠٠ ، ص ٢ - ٣ .
- ٢٥/ السامرائي : المرجع السابق ، ص ١٢٣ - ١٢٤ .
- ٢٦/ عبد المتعال محمد الجبري ، المرجع السابق ، ص ١٧٣ .
- وانظر : سنوك ، المرجع السابق ، ص ٤٥ .
- ٢٧/ عبد المتعال محمد الجبري ، المرجع السابق ، ص ٨٧ .
- وانظر سنوك المرجع السابق ، ص ٤٥ .
- ٢٨/ شكيب أرسلان ، المرجع السابق ، ص ٢٤٣ .
- وانظر السامرائي ، المرجع السابق ، ص ١٣١ .
- وكذلك سنوك : المرجع السابق ، ص ٤٦ .
- ٢٩/ لمزيد من التفصيل عن أحمد محمد السوركتي وأسباب الخلاف بينه والعلويين راجع كتاب أحمد إبراهيم أبوشوك : تاريخ حركة الإصلاح والإرشاد وشيخ الإرشاديين أحمد محمد السوركتي في إندونيسيا ، ط ١ ، ٢٠٠٠ م ، مركز البحوث العلمية الجامعة الإسلامية